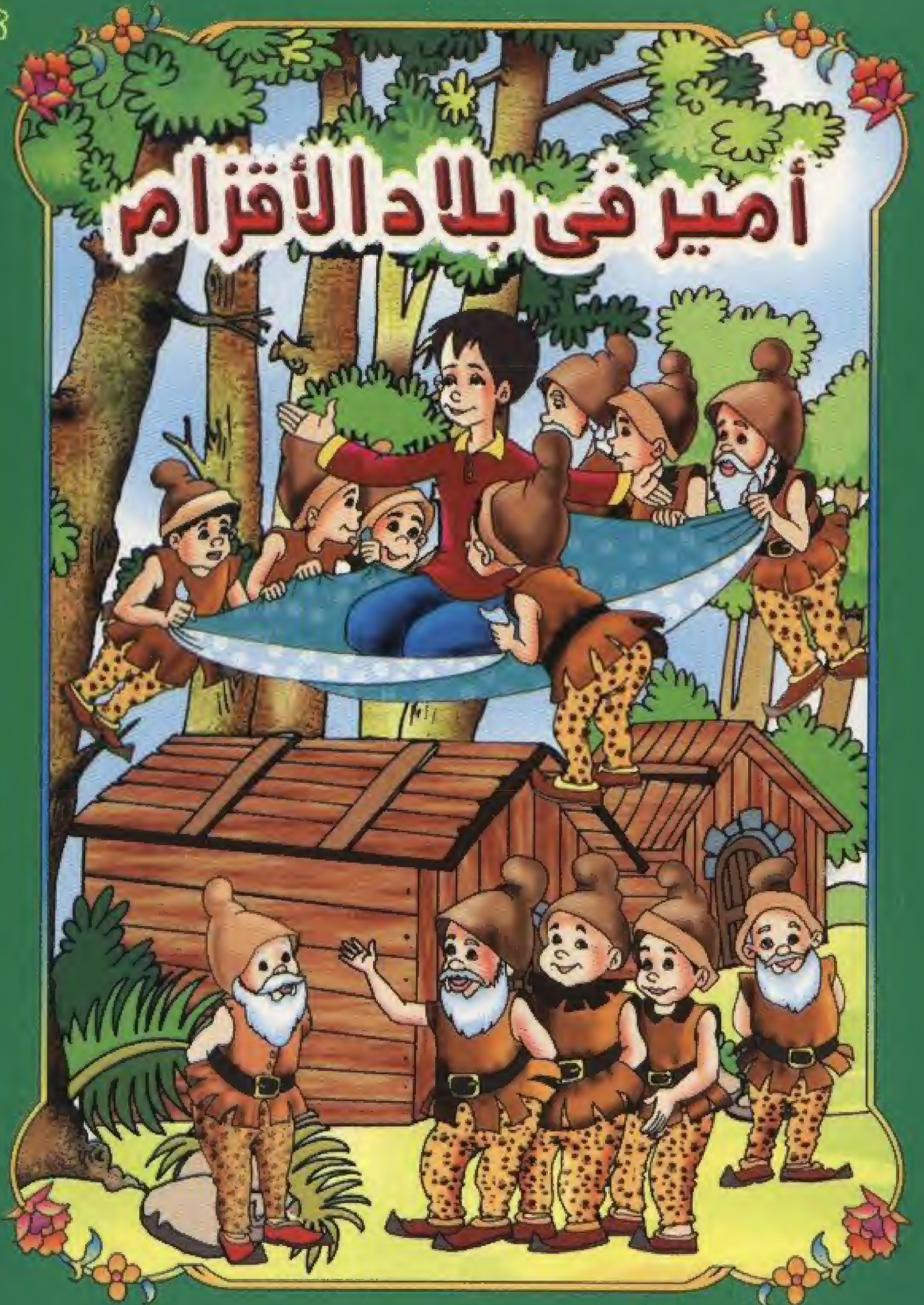


أمير في بلاد الأقزام



رسوم

عبد المردني عبيد



دار المعارف

بقلم

ثريا عبد البديع

المكتبة الخضرَاء للأطفال

٤٨

أمير في بلاد الأقزام



الطبعة الثالثة

رسوم

عبد المرضى عبيد

بقلم

ثريا عبد البديع



مسح أمير بيده على الصورة المعلقة على حائط غرفته ، وهى صورة كبيرة
للأقزام السبعة.

قال : «تصبحون على خير يا أصحابى..»

وقبل كل واحد منهم قبلته التى اعتاد عليها كل مساء ؛ فرأى الأقزام
يبتسمون له ؛ ليردوا تحيته ؛ ثم ذهب إلى الفراش وضم إليه لعبته المحبوبة
مغمضاً عينيه ، وراح فى سبات عميق. فرأى الأقزام يلتفون حوله ، يحملونه من
فوق الفراش إلى أعلى ، ثم يخترقون به النافذة التى أغلقها بنفسه ، فسألهم :

– ما هذا؟ ما الذى يحدث؟؟

ولم يجبه أحد.

– ألا تتكلمون؟ هل أنتم أقزام حقيقيون؟ أم خيال؟

ولم يجبه أحد أيضاً.

– هل أنتم تطيرون؟.. وإلى أين نحن ذاهبون؟

ولما رأى كبيرهم هلع أمير وخوفه ، أراد أن يخفف عنه فقال :

– ما تلك التى بيمينك يا أمير؟

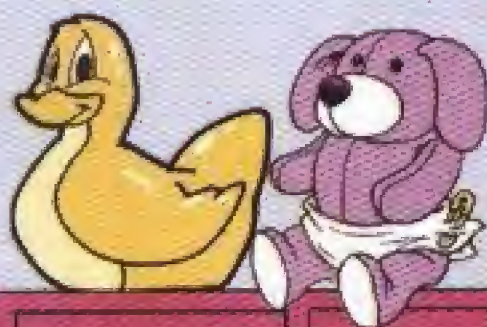
– هى لعبتى ، لا تفارقنى.

– ألا ترى أنها تشبهنى؟

– ولهذا حضرنا ، فلقد رأينا حبك الشديد لنا ، فأردنا أن نراك وترانا ،

ونصحبك معنا لقرى عالمنا ، فما رأيك؟

– إنه شئ رائع حقاً فلطالما اشتقت لرؤياكم.



ارتفع الأقزام بأَمِير إلى أعلى وأعلى، وحلّقوا به في الفضاء، اقتربوا من القمر فتعجب أمير.. «يا هَذَا هُوَ القمرُ الذي أراه من نافذتي كل مساء؟»

فحيّاه وابتسم له القمر، مرّ بنجوم كالذُرر وسحب كالْبُسْط، استمتع أمير برحلته، فالسما صافية والهواء عليل، ثم تلك الصلبة الجميلة للأصدقاء والأطيّار، استقبل برنتيه الهواء وقال: «وكانني في حلم جميل.. ليتّه يطول».

وبعد قليل: وجد أمير الأقزام يهبطون به بين الغابات، حيث مجموعة متراصة من الأكواخ المبنية بالأخشاب، اندهش الصغير حينما رأى نفسه كبيراً.. بالمقارنة بكل ما حوله.

وجد أعداداً غفيرة من الأقزام في انتظاره؛ ليسلموا عليه، فسأل أصدقاءه الذين أحاطوا به ولم يفارقوه:

— هل كانوا يعلمون بقدومي؟ وكيف سألتم على هؤلاء جميعاً؟

بدأ الأقزام يصطفون في صفوفٍ بينما يمرُّ عليهم أمير. ولما تعبَ ظهره من الانحناء، أجلسه الأصدقاء، ليستريح، في حين يمرُّ عليه الأقزام، يتدافعون تجاهه، يتجاذبون، فمنهم من يشده من يده، بينما يده الأخرى مع آخر.. في حين يتحسس ثالث قميصه أو بنطلونه. نظر أمير إليهم، فوجد نفسه الوحيد الذي يرتدى الثياب. إذ كانوا كلهم يغطون بعض أجسادهم بالجلود. سأله أحد الأقزام مندهشاً وهو ممسكُ بقميصه:

— ما هذا؟

وسأل آخر:

— وكيف ترتديه..؟



وأضاف ثالث : قلُّ لنا كيف نعمل مثله؟

ردَّ أمير :

– هذا قميص ، وهذا بنطلون ، وهما من القماش ، ويُصنعان من القطن أو الصوف ، أو الخيوط المخلوطة .

– نريد أن نرتدى مثلك .

– نعم إنها ملابس جميلة .

– نعم .. نعم .. علمنا من أين تأتي بها ، أو كيف نصنع مثلها؟

ثم صاح أحدهم :

– هيا إلى الطعام .

تهيأ أمير ، فإذا بهم قد أعدوا وليمةً كبيرة ، كانت من الشواء والخضراوات الطازجة والجذور وبعض أوراق الأشجار ، معها حبوبٌ جافة لم يعرف منها إلا الفول السوداني .

أشار أمير إلى بعض الأقزام الذين كانوا يضعون شيئاً لا يعرفه بين أسنانهم ، ويحركونه ذهاباً وإياباً .

فسأل كبيرهم :

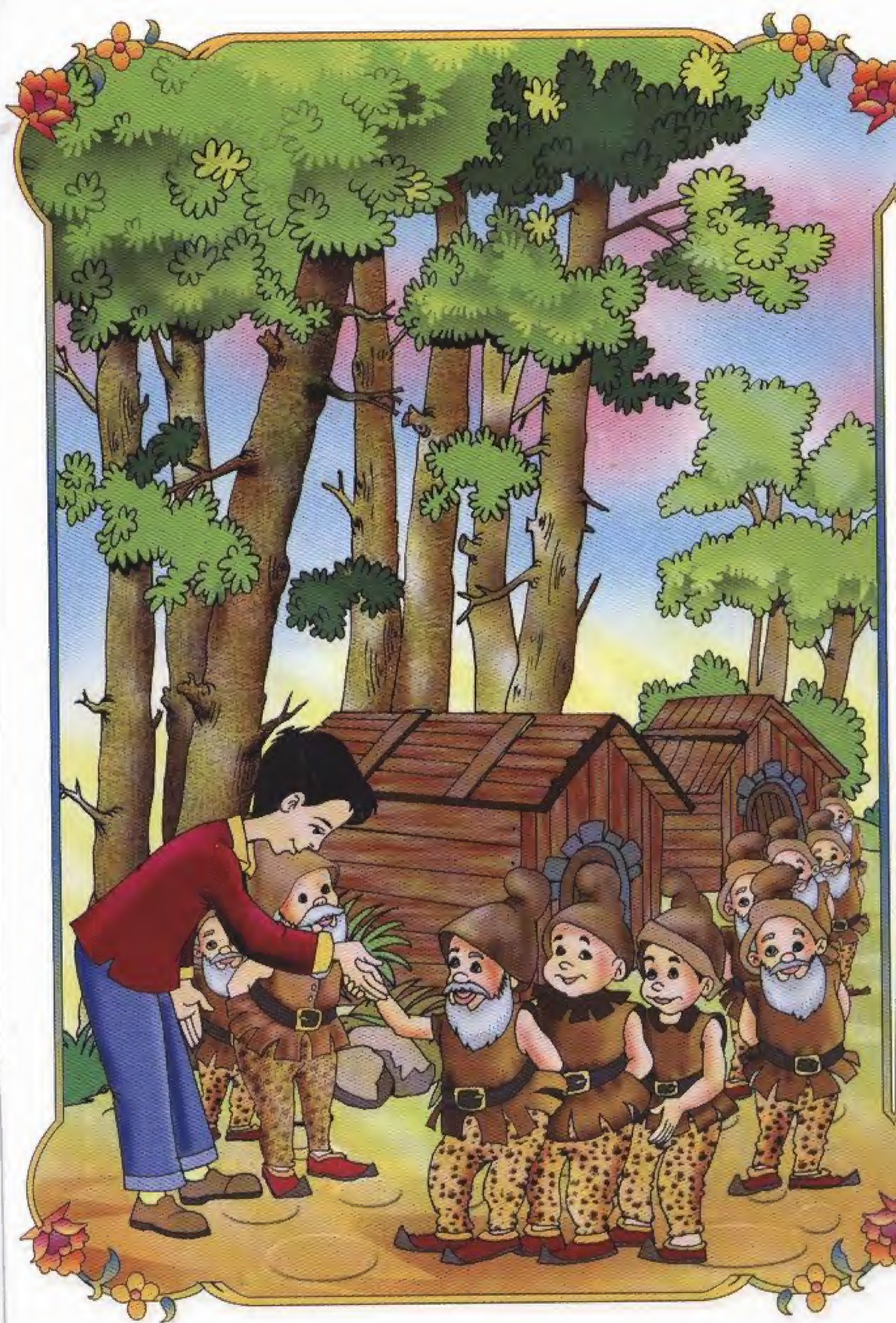
– وماذا يفعل هؤلاء؟

قال :

– إنهم يستنون أسنانهم استعداداً للطعام .

تعجب أمير ، ثم قال في نفسه ضاحكاً «لهم الحق فإن تلك الأطعمة في

حاجة إلى طاحونة ، وليست إلى أسنان» .



لَمْ تَمْتَدْ يَدُ أَمِيرٍ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الطَّعَامِ، مَكْتَفِيًا بِلَقِيمَاتٍ مَغْمُوسَةٍ بِالْعَسَلِ؛
وَأَكَلَ بَعْضُ الْفُؤَالِ السُّودَانِي. وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَوْا، وَدَعَ الْأَصْدِقَاءُ السَّبْعَةُ إِخْوَانَهُمْ،
بَيْنَمَا شَكَرَ أَمِيرُ أَفْرَادَ الْقَبِيلَةِ، لِهَذَا الْاحْتِفَاءِ الشَّدِيدِ. وَذَهَبَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ لَطَلَبِ
الرَّاحَةِ بَعْدَ عَنَاءِ يَوْمٍ طَوِيلٍ.

لَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْكُوخِ، وَجَدَ أَمِيرُ ارْتِفَاعَهُ لَا يَزِيدُ عَنِ الثَّلَاثَةِ أَقْدَامٍ، فَدَخَلَ
بِصُعُوبَةٍ لَضِيقِ الْمَكَانِ، وَقَالَ وَهُوَ يَغَالِبُ شَعُورَهُ بِالْحَرَجِ:

— سَوْفَ أَضِيقُ عَلَيْكُمُ الْمَكَانَ بَلَا شَكٍّ.

رَدُّ الْقَزْمِ الْأَوَّلُ:

— لَا.. لَا، أَهْلًا بِكَ ضَيْفًا عَزِيزًا.

— رَدُّ الثَّانِي: أَمِيرٌ سَوْفَ يَبِيتُ مَعِي.

— قَالَ الثَّالِثُ: لَا بَلْ سَيَبِيتُ مَعِيَ أَنَا.

— قَالَ السَّابِعُ: فَلْيُخْشَرْ هُوَ.. مَا رَأَيْكَ — أَرَى أَنَّكَ تُرِيدُ النَّوْمَ عَلَى

سَرِيرِي.

حَاولَ أَمِيرُ النَّوْمَ عَلَى أَحَدِ الْأَسِرَّةِ. وَلَكِنْ قَدَمُهُ خَرَجَتْ لِمَسَافَةٍ كَبِيرَةٍ،
فَاعْدَّ لَهُ الْأَقْرَامُ فِرَاشًا وَثِيرًا يَنَاسِبُهُ. أَسْدَلَ اللَّيْلُ سِتَارَهُ، فَأَغْمَضَ أَمِيرُ عَيْنَيْهِ
لِيَنَامَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ، إِذْ تَذَكَّرَ وَالِدَيْهِ وَأُخْتَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

«هَذِهِ هِيَ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ لِي خَارِجَ الْبَيْتِ.. آه كَمْ اشْتَقْتُ لَكُمْ يَا أُمِّي وَيَا

أَبِي. وَكَمْ اشْتَقْتُ إِلَيْكَ يَا أُمَانِي.. لَا بَدَّ أَنَّكَ تَسْتَعِدِّينَ الْآنَ لِلنَّوْمِ.. لَنْ أَسْتَطِيعَ

الذَّهَابَ غَدًا إِلَى الْمَدْرَسَةِ.. أُمِّي لَا بَدَّ أَنَّكَ حَزِينَةٌ لِفَقْدِي، لِيَتَّكُمَ تَعْلُمُونَ أَنِّي

هنا..» وأخذ يبكي، تنبّه إلى بكائه الأصدقاء، فأسرعوا إليه، والتفوا حوله قائلين:

— ماذا بك يا أميرنا؟

— هل أغضبك أحدنا؟

— لا لقد تذكرت والدي وأختي.. إنها الليلة الثانية وأنا بعيد عنهم..

— لا تحزن، إنك لم تقض معنا سوى ساعتين فقط، وليس ليلتين.

وقال الثاني مؤكداً كلام أخيه:

— نعم إن يوماً غير يومكم، فإن الساعة عندكم بيوم عندنا.

بدأت على أمير علامات التعجب:

فقال أحدهم: ألا تصدقنا؟

— لا، بل هذا شيء غريب.

— سوف نذهب بك غداً إلى «سيدة الأخبار»، لتطمئن بنفسك.

تساءل أمير:

— ومن هي تلك السيدة؟

— هي واحدة من السحرة والكهّان، لديها كرة مسحورة تخبرها بجميع

الأخبار.

ترك الأقزام أسرتهم، وافترشوا الأرض مع أمير، حتى يأتين بهم

ولا يعود للبكاء. احتضن لعبته، تنبّه لوجودها الأصدقاء. قال أحدهم:

— أهذه لعبة؟

وفجأة خطفها أحدهم.. وقفزوا من فوق الفراش يتقاذفونها فيما بينهم،
بينما هو حائر بينهم، ولا يستطيع أخذها منهم. أخيراً انتزعها، وكم كانت
دهشته عندما خرج من عينيها ضوء أحمر، ابتعد الأقزام.. صائحين:

— عفريت.. عفريت..!

تعجب أمير، وقال في نفسه:

— عجيب، ماذا حدث للعبتي؟ لم أر مثل هذا الضوء من قبل!

قال لأصدقائه: إنه يشبه ضوء الليزر..

سأل أصغرهم:

— وما هو هذا الليزر؟

— طاقة ضوئية شديدة القوة، تستخدم في الصناعة وفي الطب وفي

العمليات الجراحية..

تعجب الأقزام، وقال أحدهم:

يا له من شيء جميل.. أريد بعضاً من الليزر..

مرت الساعات.. حتى أشرقت الشمس، وأيقظت بنورها الجميع.

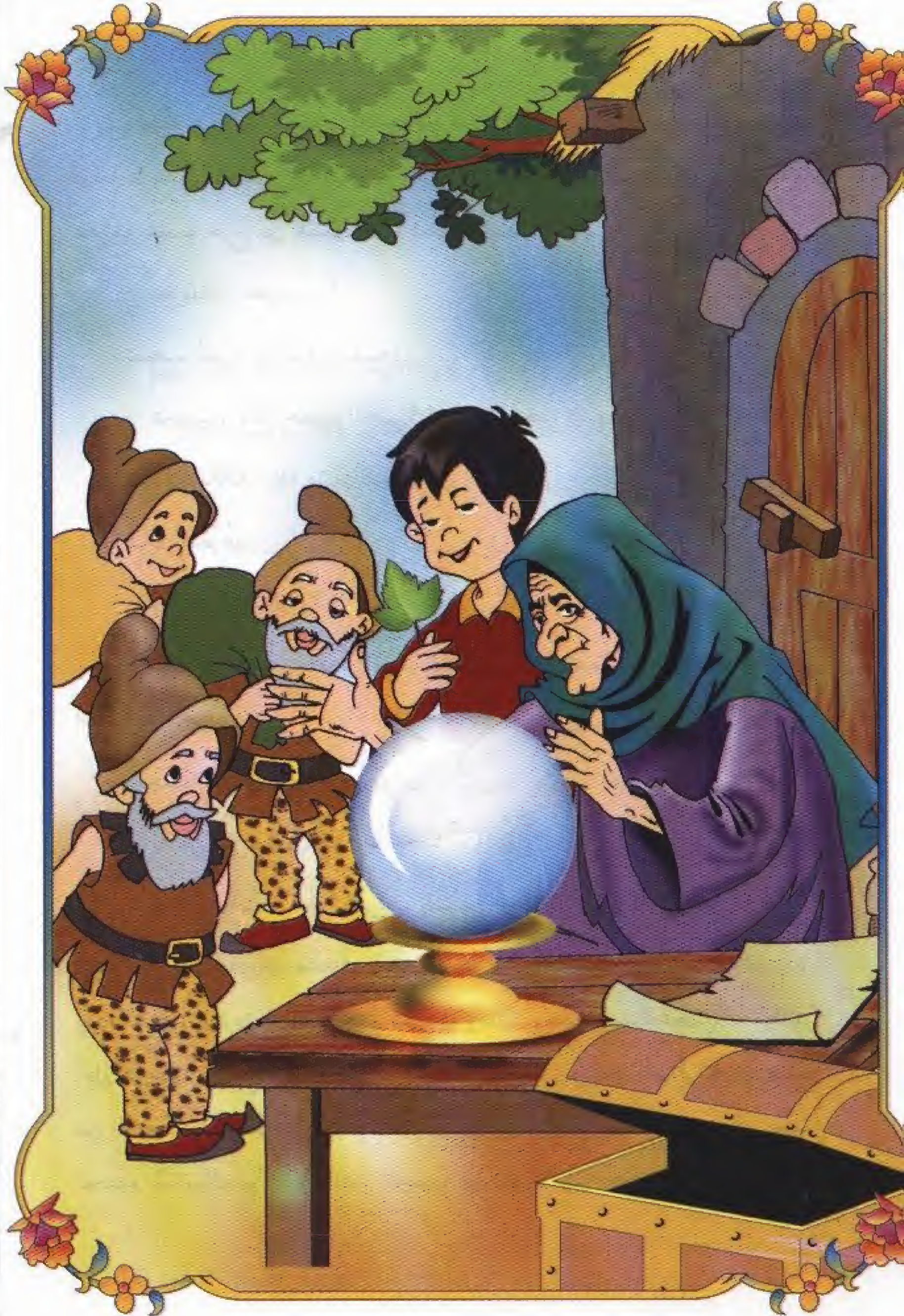
صحا أمير، وبأله مشغول بسيدة الأخبار، اصطحبه الأقزام إلى السيدة،

بعدما قطعوا الطريق إليها بسرعة شديدة. وهناك وجدها سيدة عجوزاً، تجلس

أمام كوخها، وتضع على منضدة أمامها كرة بلورية، وكانت تختفي وراء جمع

من الناس، وقد حمل كل واحد منهم لها ما استطاع من زرع، حتى جاء

بعضهم بما يملك من حيوانات، لتجيب عن تساؤلاتهم.. فممنهم من يسألها عن



خبر لتجارة له في بلاد بعيدة.. ومنهم من يسألها عن أخيه المسافر. وهي
تجيبهم بعد أن تهمس للكرة وتنظر فيها..

أعطى لها الأقزام الكثير من الحبوب الجافة. لتجيب عن سؤال أمهر الذي
اقترب منها قائلاً..

– السلام عليكم، أريد أن أطمئن على والدي وأختي..

– قالت: امسك هذه الكرة، واقرأ ما بهذه الورقة بصوت منخفض..

أمسك أمير بورقة الشجر التي أعطتها له، وقرأ المكتوب عليها، ولما نظر
في الكرة رأى غرفته.. وأخته نائمة على سريرها المجاور لسريره.. وكوب اللبن
الفارغ الذي تركه.. وكُتِبَه وأقلامه على مكتبه. تمامًا كما تركها.. نظر إلى
نتيجة الحائط فوجدها بتاريخ السابع من أبريل.. وكان البيت ساكنًا ولمح ساعة
الحائط، فوجدها تشير إلى الثانية عشرة، قال في نفسه: الحمد لله.. نعم..
الأقزام صادقون..

اطمأن أمير، وذهب مع أصدقائه للعودة إلى الكوخ، وبينما هم في الطريق
رأى بعض الصغار، يتسلقون الأشجار، فقال لرفاقه:

– أود اللعب قليلاً فما رأيكم لو شاركناهم؟

– وهل تستطيع تسلق الأشجار؟

– بالتأكيد - هيّا بنا.

ولما اقترب منهم وجدهم رجالاً، قد انتهوا من أعمال الصيد والقنص،
وبدأوا يمارسون هوايتهم في مَرَحٍ وسُرور.

اقترب الأصدقاء منهم ومعهم أمير، تسابق الجميع، وما هي إلا لحظات حتى وصل الأقزام إلى أعلى الشجرة - في حين كان «أمير» لا يزال يجاهد ويجاهد.. فيقدم رجله اليمنى.. فتزلق اليسرى.. وظل كذلك، حتى بلغ به الإعياء أشد مبلغ، إلى أن توقف عن تكرار المحاولة، قال له القزم الأول ضاحكاً:
- لماذا توقفت يا بطل؟

قال الثاني: هل تطلع أم نزل إليك لنحملك؟
رد أمير: لا.. لن أطلع أكثر من ذلك.. فإن أفرع الشجرة ضعيفة، ولن تحملني وقد أقع.

نزل الأصدقاء إلى حيث جلس أمير، والتفوا حوله، كل على فرع يتصاحكون ويتسامرون.. سألهم أمير:

- وماذا لديكم من ألعاب تمارسونها غير تسلق الأشجار؟
- نتسلق الجبال..

ضحك أمير وقال:

- أليس لديكم إلا التسلق؟

- يمكننا أن نذهب للصيد، أو نلعب بالسهام والنبال.

- وما هي ألعابكم يا أمير؟

- إن عندنا ألعاباً كثيرة.. فردية مثل.. حمل الأثقال، والجرى.. وأخرى

جماعية مثل كرة القدم، وكرة السلة والبولينج.. كما أن هناك ألعاباً حديثة هي ألعاب الكمبيوتر..



ولم يكذُ أميرٌ يكملُ كلمته، حتَّى وقعَ من فوقِ الشَّجرة..

أسرعَ الأقزامُ بالنزول، نظروا أسفلَ الشَّجرة فلم يجدوه، بحثوا هنا وهناك.. تحيروا.. وظلُّوا يبحثون في كُلِّ مكانٍ، حتَّى بكى أصغرهم وأكبرهم وظلُّوا ينادون:

— أمير.. أمير..

— أينَ أنتَ يا أمير.. أينَ ذهبتَ؟

— قالَ أحدهم: ماذا حدثَ، فقدَ نزلنا إليه في ثوانٍ.. فأينَ ذهبَ؟

وتوجَّه الآخر إلى السماء رافعاً يده:

— يا إلهي أعدهُ لنا سَالمًا، لنعيده إلى أهله ووطنه..

أسدلَ الليلُ ستاره، بينما هم في بحثٍ دائبٍ، أخذوا يشعلون المشاعل.. وأخذوا يجوبون الغابة وينادون.. اشتركت معهم بقيةُ القبيلة في البحث عن الضيف العزيز.. وأخذوا ينادون: أمير.. أمير.. ولا من مُجيب..

أما أمير فقد سقطَ في حفرةٍ كبيرةٍ مغطاة بالأعشاب والحشائش، لا يمكن اكتشافها، وقعَ أمير مغشيًا عليه، ولما أفاق تلفت حوله، فلم ير شيئًا، الظلمةُ حالكةٌ، والمكانُ مُوحش.. حاول الحركة، فلم يستطع فحدث نفسه: «يا إلهي إنَّ قَدَمي تؤلِّني كثيرًا.. أرجو ألا تكون قد انكسرت..»..

مرَّ وقتٌ طويلٌ وهو ما يزال في هذا المكان؛ بدأ يشعر بالجوع والعطش، أمعن النظر حوله، فتبينت له بعض ملامح المكان، إذ هداه بصيصٌ من نور، لم تستطع الأعشاب أن تمنعه من الدخول إلى الحفرة..



رأى أنه على عمق من سطح الأرض.. بحث عن لعبته التي كانت معه حتى وجدها على بعد منه.. جاهد حتى أمسك بها، ثم نفض عنها التراب وقال:

– الحمد لله أنك معي أيها القزم الصديق، لتؤنسني في وحدتي..
ولما أضأت عيناه، اطمأن أنه لا زال كما هو، ولم تؤثر السقطة عليه، فقبله عدة مرات.. فزاد النور الخارج من عينيه، حتى ملأ عليه المكان.
هَلَّ أمير، وضمَّ القزم إلى صدره، تلفَّت حوله، فوجد أن الحفرة ما هي إلا بوابة لسرداب طويل، في آخره باب مغلق. حاول الوقوف مرة ثانية.. وبعد جهدٍ أفلح، ثم توجه نحو الباب يحدث نفسه: هل أفتح هذا الباب لعلني أستطيع من خلاله الخروج من هنا والنجاة؟ لا.. لا.. فقد لا تكون النجاة، وقد يكون من ورائه الهلاك.. ثم قال: بل سأفتحه وأمرى إلى الله..
حاول فتح الباب.. لكنه لم يستطع، حاول ثانية، فإذا بالمكان يهتز اهتزازاً عنيفاً، وشعر أمير بدوار، فاستند إلى الحائط حتى يتمالك نفسه.
ولما انتبه، فوجئ أمير بالقزم اللُّعبة يتقدم نحو الباب الذي انفتح أمامه على مصراعيه.. ودخل القزم.

تسمرت قدماً أمير، في حين تحركت عيناه، لترى المكان: بهواً واسعاً.. تزيّنت جدرانه بنقوش جميلة ودقيقة، تشبه كثيراً النقوش التي كان يراها في المعابد الفرعونية بألوانها الزاهية.. وتتدلى من سقفه مصابيح كالشموس، لم ير مثلاً من قبل، ويستند ذلك السقف إلى أعمدة رخامية، مرصعة بأنواع شتى من الأحجار الكريمة، متناسقة الألوان شديدة الجمال وفي صدر البهو كرسي كأنه

عرش لأحد ملوك الأقزام. كَانَ مرصعًا بالجواهر واللالئ والأحجار الكريمة،
تعكسُ بريقًا أخاذًا عند سقوط الضوء عليها. أحجارٌ متنوعةٌ: فهذا ياقوت..
وهذا مرجان.. أمّا ذاك فهو زمردٌ بألوانٍ مختلفةٍ منسجمة. الله.. يا له من
كرسى رائع..

على جانبي البهو تراصت الأزاهيرُ المحملةُ بزهور لم ير مثلها، تنبعثُ
منها رائحةٌ عطرةٌ. نظرَ أمير تحت قدميه المسمرتين، فرأى بسطًا حريريّةً
كأفخم ما تكون البسط، وفي وسط البهو كانت هناك مأدبة عليها من جميع
أصناف الطعام، تنبعثُ منها الروائحُ الطيبة والأبخرة، وكأنما وضعت في التّو..
حدثَ نفسه «يا للدهشة والعجب.. ما هذا.. وأين أنا؟!»

وجدَ أمير نفسه أمام لعبته المحبوبة.. وقد دبّت فيها الحياةُ متحوّلةً إلى
قزمٍ عاды يتحرّكُ مثله مثل بقية الأقزام.

جلسَ القزمُ على الكرسي الفخم المزين بالأحجار الكريمة، قائلاً لأمير:

– أقبل يا أمير اقترب مني..

لم ينطق أمير ولم يتحرّك، فإنّ المفاجأة قد عقدت لسانه وقيدت قدميه..

قالَ القزمُ:

– أقبل ولا تخف، سوف أشرح لك كل شيء..

تقدمَ أمير بخطواتٍ بطيئة، جلسَ إلى جوار القزم الذي قدمَ إليه ورقةً من

البردى بدت قديمة جداً وقال:

– اقرأ هذه.

نظرَ أمير في الورقة، واستطاع بصعوبة أن يتبين المكتوب..

«من الملك سمعان إلى ولده البطل كينان.. وبعد:

آن الأوان لتملك الزمان والمكان، بعد أن تعود من غربتك التي اخترتها بإرادتك، ولعلك عدت بزادك من العلم والمعرفة كما تمنيت. فإن كان المراد، انتشرت الأفراح في البلاد، وعم الخير واليمن وزادت الخيرات، وإن لم يكن ولم يُقدَّر لك العودة.. فسوف يسود الظلم والطغيان من السحرة والكهّان.. كن كما عهدتك شجاعاً بطلاً مغواراً، وضع بلادك نُصبَ عينيك.

ولدى كينان:

بمجرد دخولك إلى هذا المكان، سوف تعود إلى سيرتك الأولى، ويبطل سحر كبير الكهّان، فهذا هو الوعد والرهان، تعود يا ولدى بشحمك ولحمك لتؤدّي رسالتك نحو أهلك وبلدك.

انتظرنا عودتك طويلاً، وأعدت أمك لك طعاماً يكون زادك عند عودتك، فهنيئاً لك. وأخيراً.. خاتم الملك في الخزانة بجوار مخدعك.. وسنكون معك دائماً بروحنا إن كنت بحاجة لنا..»

«أبوك الملك سمعان»

بكي أمير بعد قراءته لتلك السطور، قال له صاحبه:

— لا تبك يا صديقي، إنها مكتوبة منذ زمن بعيد. وأحمد الله أنني عدت إلى بلدي على يدك..

تساءل أمير:

— ولكن ماذا يقصد والدك بقوله «تعود من غربتك التي اخترتها بإرادتك»؟

رد كينان:



- فى صِبَاى ، لم يكن يعجبنى أن يلجأ الناس للسحرة والكهّان فى كل الأمور ، بينما لا يعملون عقولهم ولا يفكرون..

- نعم ، لقد رأيت ذلك بنفسى عند سيّدة الأخبار ، فالناس يزدهمون عندها بشكل كبير.

استمرّ كيّان فى حديثه : كنت أدعو الناس دائماً بالبعد عن هؤلاء الكهّنة ، إذ كانوا يسلبون الناس مالهم وأشياءهم ، وكثيراً ما ضلّوهم.. وكنت أعلم أن العلم هو السبيل الوحيد للخلاص من هذا الجهل ، كما كنت أحب أن أتعرف على الأشياء بنفسى ، فرأيت أن أسافر فى السفر سبع فوائد..

- وماذا فعلت مع هؤلاء السحرة والكهّان؟

- رأوا أن يتخلّصوا منى ، وبعد أن غادرت البلاد ، ولم أكذ أهبط أرض مصر ، حتّى سحرنى أكبر الكهنة إلى تلك اللعبة.

قال أمير :

- وبذلك يضمن عدم عودتك للبلاد ثانية ولا يذهب سحره أبداً..

- نعم.. لا أعود إلى طبيعتى إلا إذا..

- إلا إذا ماذا؟

- إلا إذا رجعت إلى هنا أرضى وبيتى . وكما رأيت فإنه عندما تنفست

هواء بلادى عدت كما كنت ، وإنى أعتقد أن لأمى الملكة يدًا فى هذا.

كيف ذلك؟

إنه الضوء الذى صدر من عيني وملا المكان ، هو السحر الأبيض الذى كانت تجيده أمى الملكة ، لتبطل به بعض أعمال الكهّان وسحرهم الأسود.

ألم تقرأ الرسالة؟!

فقد وعدتني هي وأبى أن يكونا إلى جوارى بروحيهما.

قال أمير متعجبًا: وأنا كنت أظن ذلك الضوء هو الليزر!!

— هذا إذن بيتك.. وهما قد عدت سألما. يا للعجب، ولكننا سقطنا إلى هنا

مصادفةً دون ترتيب!!

— نعم يا صاحبي.. نعم

يا لها من حكاية أقرب إلى الخيال..

— إلى أن كان يوم لقائنا، فأحببتني وأحببتك، وصرنا صديقين لا نفترق

أبدًا.

سرح القزم بخياله قائلاً: لقد كانت لنا أيام حلوة، حُفرت في ذاكرتي

ولن أنساها.

وبينما الصديقان يسترجعان معاً ذكرياتهما، في جو تملؤه المحبة والألفة

فإذا بأصوات تأتي من الخارج تُنادي: أمير.. يا أمير.. أين أنت يا أمير؟

تذكر أمير أنه مازال في تلك الحفرة، وقدمه لا تزال تؤلمه.. إنه صوت

أصدقائه يبحثون عنه، ولا بد أن يخرج إليهم.

استند الأمير إلى كتف صديقه، في حين أشار كينان إلى باب خلفي يؤدي

إلى الغابات، ليخرج منه أمير الذي قال:

— لن أتأخر، فلا بد أن يطمئن أصدقائي على، وسوف أعود..

ودع الصديقان بعضهما على أن يعودا إلى مجلسهما.

خَرَجَ أَمِيرٌ وَرَأَى أَصْدِقَاءَهُ يَحْمِلُونَ الْمَشَاعِلَ وَيَجُوبُونَ الْغَابَاتِ. وَمَا إِنَّ رَأَى
الْأَقْزَامَ صَدِيقَهُمْ حَتَّى هَلَّلُوا وَتَقَافَزُوا، يَقْبَلُونَهُ، وَيَهْنِئُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى
سَلَامَةِ الْغَائِبِ..

تَسَاءَلَ وَاحِدٌ:

— أَيْنَ كُنْتَ؟

قَالَ آخَرُ:

— كَدْنَا نَفْقِدُ الْأَمَلَ فِي الْعَثُورِ عَلَيْكَ.

تَسَاءَلَ ثَالِثٌ:

— وَلَكِنْ أَيْنَ لُعْبَتُكَ؟

أَجَابَ أَمِيرٌ:

— فَلَنَجْلِسَ أَوَّلًا فَتَلْكَ حِكَايَةً طَوِيلَةً.



جَلَسَ أَمِيرٌ يَحْكِي لِأَصْدِقَائِهِ عَنْ وَقْعِهِ وَلُعْبَتِهِ.. وَالسَّرْدَابِ وَالْبَهْوِ
الْوَاسِعِ، ائْتَدَّهَشُوا عِنْدَمَا سَمِعُوا مِنْ أَمِيرٍ عَنْ رِسَالَةِ الْمَلِكِ سَمْعَانَ إِلَى وَلَدِهِ كَيْنَانَ،
وَحِكَايَتِهِ مَعَ السَّحَرَةِ وَالْكُهَّانِ. اسْتَمَعَ الْأَقْزَامُ إِلَيْهِ وَكَأَنَّمَا يَسْتَمِعُونَ إِلَى حِكَايَةٍ
مِنْ نَسْجِ خَيَالِهِ، قَالَ الْقَزْمُ الْأَوَّلُ مَتَعَجِبًا:

— مَاذَا تَقُولُ؟! لَعِبَةٌ تَتَحَوَّلُ إِلَى إِنْسَانٍ؟!

— أَتَقُولُ مَلِكًا اسْمُهُ سَمْعَانُ، وَلَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ كَيْنَانُ، لَقَدْ جِئْتَنَا بِمَا لَمْ تَسْمَعْهُ

آذَانُ.

— نَحْنُ مِنْذُ الْقَدِيمِ لَا نَعْرِفُ سُلْطَانًا إِلَّا سُلْطَانَ السَّحَرَةِ وَالْكُهَّانِ.

– لَّا.. لَّا.. لَّا بَدَّ أَنْ السَّقَطَةَ أَثَّرَتْ عَلَيْكَ.

– هَيَّا.. هَيَّا بَنَّا لِنَذْهَبَ إِلَى أَكْبَرِ الْكُهَّانِ، لِنَرَى مَا حَدَثَ لَكَ، لَقَدْ كُنْتُ

عَاقِلًا حَتَّى الْآنَ.

أَخَذَ أَمِيرٌ يَضْحَكُ وَيَقُولُ:

– أَلَا تَصَدِّقُونِي.. أَقْسِمُ لَكُمْ أَنَّ مَا أَقُولُهُ هُوَ الْحَقِيقَةُ.

وَقَالَ وَاحِدٌ:

– خَسَّارَتِكَ يَا أَمِيرٌ، كُنْتَ ذَا فَصَاحَةٍ وَبَيَّانٍ.

رَدَّ أَمِيرٌ مُوَكَّدًا:

– إِذْنُ هَيَّا بَنَّا.. هَيَّا لِنَتَّأَكَّدُوا بِأَنْفُسِكُمْ، وَلِنَتَرَى أَعَيْنَكُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ الْمَلِكِ

كَيْنَانَ.

هَمَسَ قَزْمٌ لِأَخَوْتِهِ:

– أَنَا غَيْرُ مُصَدِّقٍ لِتِلْكَ الْقِصَّةِ الَّتِي يَقْصُهَا عَلَيْنَا، فَمَاذَا نَحْنُ فَاعِلُونَ؟

قَالَ آخَرُ:

– لَكِنَّهُ صَدِيقُنَا وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْنَا؟

قَالَ ثَالِثٌ:

– هَيَّا مَعَهُ لِنَرَى صَدَقَ مَا يَقُولُ.

تَوَجَّهَ الْأَقْرَامُ مَعَ أَمِيرٍ؛ لِيَتَّأَكَّدُوا مِنْ صَدَقِ حَدِيثِهِ وَسَلَامَةِ عَقْلِهِ، فَتَوَجَّهُوا

إِلَى الْبَابِ الْخَلْفِيِّ، وَاسْتَأْذَنُوا فِي الدَّخُولِ. انْفَتَحَ الْبَابُ.. فَوَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ دَاخِلَ

السرداب الذى وصفه أمير وانفتح الباب فوجدوا البهو الواسع.. لكن أين الملك؟
أين صاحب هذا العرش؟ لقد صدق أمير فى شىء، ولكنه لم يصدق فى آخر.
لم تطل لحظة التحير، وما هى إلا لحظة ثانية حتى وجدوا أنفسهم أمام
الملك صاحب العرش. نعم إنه هو كما وصفه أمير بالتّمام: رجلٌ عادى، قزم
مثلهم، يشبه كثيراً لعبته التى كانت، على رأسه تاجٌ رائعٌ براق، لم يروا مثله
ولاً عند أكبر الكهّان.

همس أحدهم قائلاً:

— يبدو أن أمير صادق، وعقله سليم.

أضاف آخر:

— لقد أسأنا إليه بظننا فيه وعدم تصديقنا له.

دعا الملك كينان جميع الأقزام إلى الجلوس إليه، فجلسوا دونما كلام،
وكانما نزلت بهم السّهام، أراد أمير أن يخفف من أثر المفاجأة وصدمة
المواجهة، فقال متضحكاً وهو يشير إلى الملك:

— ألا ترون أنه نفس اللّعبة، ولكن الملك لا يخرج من عينه ضوء!

ضحك الأقزام وضحك معهم الملك كينان، وبدأ الصديقان أمير والملك كينان
يرويان إلى الأقزام حكايتَهُما معاً منذ لقائِهِما حتى الآن، واستمع لهُما الأقزام
وقد جذبتَهُم طرافة الحكايات، فتعالت بينهم الضحكات، وساد جوٌّ من المرح
والسرور، نسوا معه أنفسهم والزمان والمكان.

تساءل أحدُ الأقزام:

– والآن يا.. يا ملك الزمان وسلطان العصر والأوان، ماذا فى خططك
ونيتك لنا ولبلادنا؟

رد كينان:

– أودُّ أولاً أن أشكرَ صديقنا أميراً إذ احتُميتُ فى داره وشاركته فى كلِّ
شئٍ لولاهُ ما كنتُ بينكم الآن، وإنى أعرضُ عليه أن يكونَ وزيرى ومستشارى،
لهُ ما يشاءُ من مالٍ وأرض، كما يُبنى له قصرٌ بجوار قصرى ولهُ الخيارُ، من
قبلُ ومن بعدُ.

اندفع قزمٌ قائلاً:

– قلْ نعم يا أمير.. وافقْ يا أمير..

فى حينَ سكتَ أميرٌ ولمْ يرد.

أضافَ الملكُ كينان:

– وإنَّه لقرارُ الملكِ كينان بتعيينِ السبعةِ أقزامٍ مستشارين وعُيُوناً للملكِ فى
كلِّ مكانٍ، والإعلانُ فى التَّو، والآن عن قيامِ دولةِ كينان.
هللَ الأقزامُ صائحين:

– الشكرُ لملكِ الزمان.. الشكرُ لملكِ الزمان.

وسألَ آخر:

– وماذا تعنى الدولةُ هذه يا مولائى؟

ردَّ الملك:

– نظامٌ لحكمِ البلادِ وفقَ قَوَانِينٍ لا يخرجُ عليها إنسانٌ، مهما كانَ له من
عظيمِ الشأنِ لا حاكمَ ولا سلطان.

— ولكنْ مَا هُوَ دُورُنَا.. فلتَقَسِّمْ عَلَيْنَا أَعْمَالَنَا.

رَدَّ الْمَلِكُ :

— هَذَا أَتْرَكُهُ لَكُمْ. فليَتَخَيَّرْ كُلُّ مِنْكُمْ عَمَلَهُ ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ الْكَبِيرُ إِنْ كَانَ مِنْهُ أَىُّ تَقْصِيرٍ.

قَالَ أَصْغَرُ الْأَقْزَامِ :

— أَنَا أَحَبُّ الزَّرَاعَةِ وَأَزْرَعُ أَجُودَ الْمَحَاصِيلِ.

قَالَ الْمَلِكُ :

— فلتَكُنْ إِذَا وَزِيرًا لِلزَّرَاعَةِ.

قَالَ آخَرُ :

— وَأَنَا أَحَبُّ الصَّنَاعَةِ ، لِأَصْنَعَ مَلَابِسَ مِثْلَ مَلَابِسِ صَدِيقِنَا أَمِيرٍ ، وَلِيَرْتَدِيَّ أَهْلُ بِلَادِنَا الثِّيَابَ.

رَدَّ الْمَلِكُ :

فلتَكُنْ إِذَا وَزِيرًا لِلصَّنَاعَةِ.

وَقَامَ الْأَقْزَامُ الْآخَرُونَ بِتَخَيَّرِ أَعْمَالِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ.

وَهُنَا قَالَ الْمَلِكُ :

— الْآنَ عَلِمَ كُلُّ مِنْكُمْ عَمَلَهُ ، فَهَيَّا لِبِنَاءِ أَرْكَانِ دَوْلَتِنَا.

قَالَ أَكْبَرُ الْأَقْزَامِ :

— أَمْرُكَ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ ، وَلَكِنْ مَاذَا عَنْ بَقِيَّةِ الْقَبَائِلِ؟ فَنِظَامُ الدَّوْلَةِ جَدِيدٌ

عَلَيْنَا.

تساءل قزّم آخر:

— وماذا عن السحرة والكهّان؟

ردّ الملك كينان:

— إنّ حربنا الأولى هي القضاء على السحرة والكهّان، فلتدّر عليهم الدائرة منذ الآن.

— نعم يا مولاي، ونحن إلى جوارك ومن وراءك نشدّ أزرّك ونعاونك، والله المستعان:

وقال آخر:

— إذا لابدّ أن تلتقي بعامّة الناس وبقيّة القبائل، فهيّا لنبدأ من الآن.



دار حوار طویل بین الملك والأقزام، بینما کان أمير مشغولاً بأمر خطير، وهو ما عرضه عليه الملك كينان من جاهٍ ونفوذٍ وسلطان. فتخیّل نفسه مقيماً في قصره، ومن حوله الخدم والحشم، فهذا يساعده في ارتداء ملابسه، وثالث يضع التاج على رأس الوزير «أمير» والجميع يتمنى رضاه والمثول بين يديه، وفي النهار يعمل ويجد ويقضى حوائج الناس، وعند الليل يجد متعته ولهوه، وإذا ما أراد النوم، له جارية تقص له أجمل الأقاصيص وتحكي له الحكايات، وبين يديه عازف يعزف أعذب النغمات.. الله.. الله.. أليس تلك أعظم الأمنيات؟!

وبينما كان أمير سارحاً في ذلك التفكير، كان الأصدقاء قد استبقوا إلى الباب، لتنفيذ ما اتفقوا عليه مع الملك كينان، وهو الإعلان عن دولة كينان. وما إن خرجوا حتّى وجدوا الغابات قد اشتعلت بها النيران، فتذكر الأقزام أنهم

قَدْ نَسُوا مَشَاعِلَهُمْ عِنْدَمَا رَأَوْا صَدِيقَهُمْ أَمِيرًا، وَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ أَيْضًا عِنْدَمَا حَكَى لَهُمْ حِكَايَتَهُ مَعَ لُعْبَتِهِ وَالْمَلِكِ كَيْنَانَ وَانْشَغَلُوا بِهِ عَمَّا بِأَيْدِيهِمْ، يَا لَهَا مِنْ كَارِثَةٍ، سَتَرَكَ يَا سَتَار!

تَخِيطُ الْأَقْزَامُ فِي بَادِي الْأَمْرِ، فَذَاكَ رَائِحٌ.. وَذَاكَ غَادٍ، وَلَا يَدْرُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.. وَهْنَا كَانَتْ صَرْخَةُ الْمَلِكِ كَيْنَانَ:

– أَسْرِعُوا إِلَى الْبَحِيرَةِ.. أَسْرِعُوا إِلَى الْبَحِيرَةِ..

أَسْرَعَ الْأَقْزَامُ إِلَى بَحِيرَتِهِمْ، وَهِيَ بَحِيرَةٌ مَسْحُورَةٌ، وَأَسْرَعَتِ النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ أَيْضًا لِمُسَاعَدَةِ الرِّجَالِ، وَقَدْ أَتَوْا بِالْأَوَانِي يَمْلِئُونَهَا مِنَ الْبَحِيرَةِ، وَبِتِنَاقُلُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَفْرَغُونَ الْأَوَانِي عَلَى الْحَرِيقِ، وَقَسَمَ الْمَلِكُ رِجَالَهُ مَشِيرًا إِلَيْهِمْ:

– اذْهَبْ أَنْتَ مَعَ نَفَرٍ مِنَ النَّاسِ لِإِنْقَازِ الْأَجْرَانِ وَالزَّرْعِ.

– أَمَّا أَنْتَ فَخُذْ مَنْ يَسَاعِدُكَ لِإِنْقَازِ الْأَكْوَاخِ وَمَا فِيهَا مِنْ صِغَارٍ.

صَرَخَ أَحَدُ الْأَقْزَامِ:

– وَلَدِي.. آه يَا بُنَى.. وَلَدِي دَاخِلَ الْكُوخِ.

رَأَى أَمِيرُ الرَّجُلِ يَدْخُلُ الْكُوخَ الْمَشْتَعِلَ، لِيَنْقُذَ صَغِيرَهُ دُونَ مَا خَوْفٍ وَلَا هَلَعٍ، وَلَمْ يَخْرُجْ الرَّجُلُ إِلَّا وَمَعَهُ فَلَذَةٌ كَبِيدَةٍ، وَقَدْ أَنْقَذَهُ فَحَمِدَ رَبَّهُ وَشَكَرَ نِعْمَتَهُ.

شَعَرَ أَمِيرٌ بِالتَّعَبِ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ، فَجَلَسَ عَلَى حَافَةِ الْبَحِيرَةِ، يَغْمُرُ رَأْسَهُ بِمَائِهَا، وَيَنْهَلُ بِكَفَيْهِ حَتَّى ارْتَوَى. انْطَفَأَ الْحَرِيقُ، وَتَلَفَّتِ الْأَقْزَامُ حَوْلَهُمْ بِأَحْثِينَ عَنْ أَمِيرٍ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، تَسَاءَلُوا وَاحِدٌ مِنَ الْأَقْزَامِ:

– أَيْنَ أَمِيرٌ؟

– أَيْنَ ذَهَبَ.. لَقَدْ كَانَ هُنَا مِنْذُ لَحْظَةٍ.

سمعهم أمير فقال:

— أنا هنا.. أنا هنا بجوار البحيرة.

سمع الأصدقاء صوته لكنهم لم يروه.

— أنا هنا.. بجوار الصخرة.. ألا تروني؟!

ولما دققوا النظر حولهم، لم يروا إلا قزماً صغيراً جداً، لا يتعدى طوله

القدم الواحد، فتعجبوا قائلين: أنت أمير؟؟!!

— ماذا حدث لك؟

نظر أمير إلى نفسه.. يديه.. قدميه.. وقال:

— لا أدري.. لا أدري، كنت عادياً منذ لحظة!!

لم يتعجب الأقرام طويلاً، فقد أدركوا على الفور أن أمير قد شرب من

بحيرتهم المسحورة التي تسحر الغرباء إلى أقزام.

قال أحد الأقرام:

— لقد صغرنا يا أمير لأنك شربت من مائنا المسحور.

— ولكنني أصبحت قصيراً.. قصيراً.. صرت أقصر منكم جميعاً.

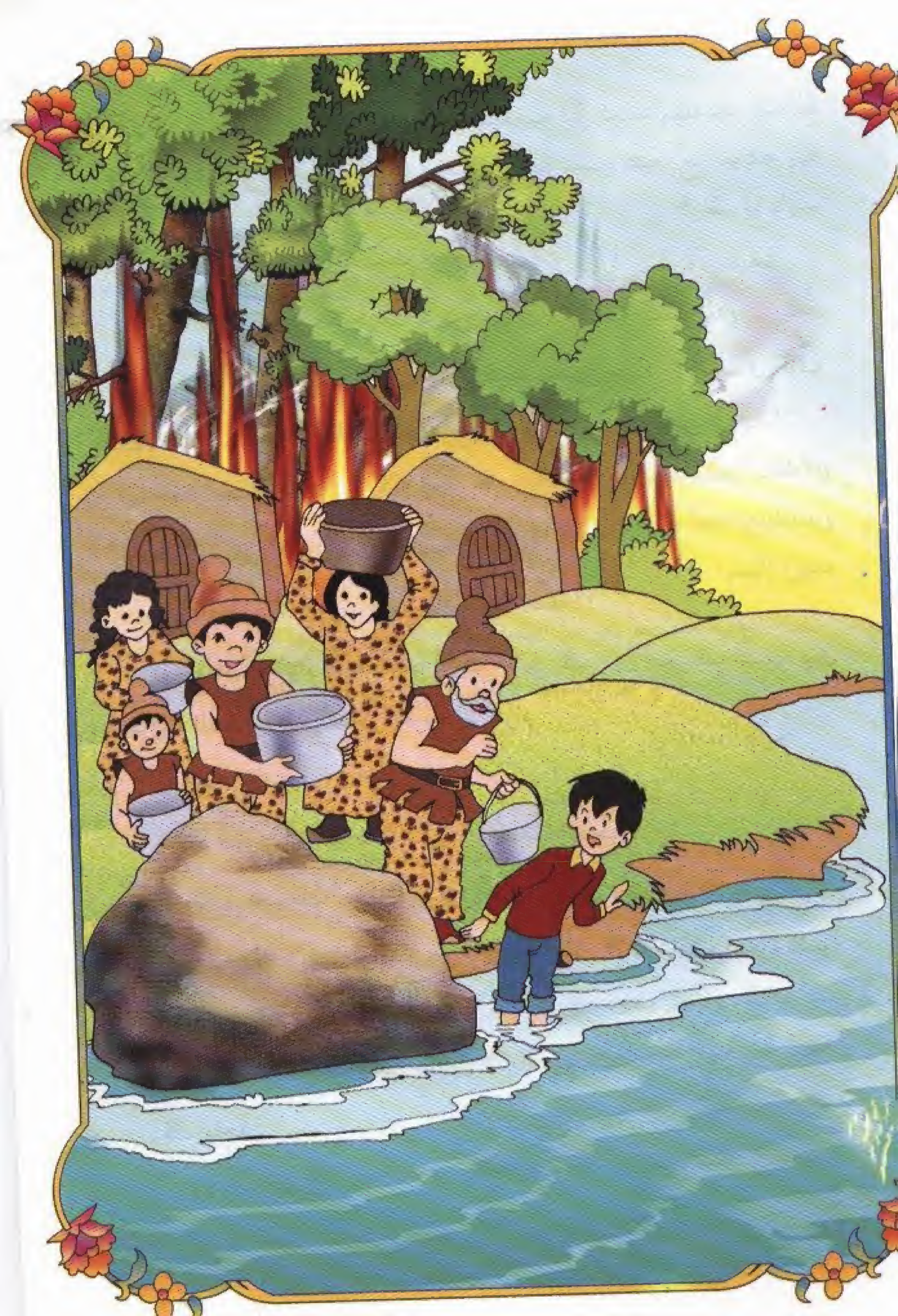
قال الأصدقاء لأمير: إن قصر طوله الشديد هذا، لأنه شرب كثيراً

ولأنه أيضاً غمس رأسه بالماء.

— انفجر الجميع ضاحكين مهللين لأنه أصبح مثلهم.

قال واحد:

— والآن لن نتركنا.



قال آخر:

– نعم لن تذهب إلى بلادك، فقد أصبحت مثلنا.

وقال ثالث:

– لن نتركك تعود.. لن تعود.

تذكر أمير والديه وأخته، وكيف أنه بعيد عنهم، وأنه بهذا التحول قد ابتعد أكثر وأكثر، وقال في نفسه: ربما يصبح مستحيلاً أن أعود إليهم ثانية، يبدو أنني سوف أقبل عرض كينان الملك.

وعلى الفور، تذكر الرجل الذي دخل النيران منذ ساعة، ولم يعبأ بما قد يحدث له حتى ينقذ ولده وفلذة كبده، تذكر فرحته الكبرى عندما وجد ابنه سليماً معافاً، فقال أمير في نفسه: لا بد أن أبي مشغول على، وأمى حزينه لفقدى. لا.. لا بد من عودتى.

رأى الأقزام سكوت أمير، تساءل واحد:

– ما بالك يا أمير؟

– هل أنت حزين لأنك أصبحت قزماً؟

– ألا تود أن تبقى معنا.. ألم تحبنا؟

قال الملك كينان:

– نحن في حاجة إليك يا أمير..

ثم أضاف: إن لك الخيار يا أمير في عودتك أو البقاء معنا.. وسوف يسدوم الود بيننا.. ولنبق أصدقاء وأنا أكرر عرضى عليك، فإن أردت العودة إلى هيئتك

الأولى لتعود إنسانًا عاديًا، فما عليك إلا أن تغتسل في البحيرة ثلاث مرات،
وبعدها تعود كما كنت.

وقف أميرٌ أعلى الصخرة المجاورة للبحيرة، وقال بصوتٍ مرتفع :
- أحبائي وأصدقائي استمعوا إلي.. ولم يكذُ أميرٌ يكملُ عبارته، حتى وقع
من فوق الصخرة.. ويا لها من وقعة، وقع من فوق سريرهِ على أرضِ غرفته،
محدثًا صوتًا وجلبة.. استيقظ على أثرها أهل البيت، وأسرعت إليه أخته أمانى
صائحة:

- أمير.. أمير.. مالك.. ماذا بك؟

ولم يذر أمير في بادئ الأمر أين هو.. وبحث عن لعبته فوجدها، لكن في
غير مكانها.. تساءل في نفسه: هل كان يحلم؟ ولما التفت إلى الحائط رأى
الأقزام السبعة يبتسمون له ابتسامة لم يرها من قبل، فقد تألأت معها أسنانهم
حتى أضأت المكان، فقام ومسح بيديه على صورة الأقزام، وأعطى كل واحدٍ
منهم قبيلته التي اعتاد عليها كل صباح، فلمعت عيونهم وتبسمت ثغورهم.
هرب أمير نشيطًا يستعد للذهاب إلى مدرسته، وحكى لأصدقائه ما كان من
حلمه الجميل حتى تمنى بعضهم، أن تأتي إليهم الأقزام في منامهم!